حـــوار

بقلم : أحمد طلعت

ذاكرة التاريخ !!

فى شهر فبراير من عام ١٩٤٥ اطلق شاب احمق رصاص مسدسه على المرحوم احمد ماهر باشا رئيس الوزراء المصرى لتضع هذه الرصاصات الهوجاء النهاية لحياة واحد من اعظم زعماء مصر فى العصر الحديث ومن اكثرهم وطنية وبعد نظر .

فمع قرب انتهاء الحرب العالمية الثانية ومحاصرة جيوش الحلفاء «لبرلين» عاصمة النازية قررت الحكومة المصرية ان تعلن الحرب «الدفاعية» ضد التحالف الدكتاتورى المعادى للديمقراطية والذى كان يتكون وقتها من المانيا وايطاليا واليابان.

وكانت وجهة نظر الحكومة المصرية فى قرارها بإعلان الحرب «الدفاعية» هى ان الدول المنتصرة فى الحرب كانت تتأهب لحضور مؤتمر «ليك سكس» لوضع ميثاق الامم المتحدة التى حلت محل عصبة الامم ولتتكون من مجموع الدول المنتصرة فى الحرب الهيئة التاسيسية لهذه المنظمة التى يتمثل فيها النظام الدولى الجديد لما بعد الحرب العالمية الثانية وهى فرصة يجب الا تضيع على مصر بعد كل ما تعرضت له من العدوان على ارضيها خلال فترة الحرب .

كما كان فى تقدير الحكومة المصرية وقتها ان الدول المنتصرة سوف تجتمع بعد الحرب لبحث موضوع التعويضات التى سوف تفرض على الدول المهزومة لصالحها وكان من الضرورى ان تحصل مصر على نصيبها من هذه التعويضات وهو ما حدث فعلا بعد ذلك وحصلت مصر على مصنع لهياكل الطائرات ومصنع للاسلحة الصغيرة كجزء من هذه التعويضات وكانت هذه المصانع هى النواة الاولى للصناعات الحربية المصرية قبل قيام الثورة بوقت طويل .

ومن جهة ثالثة فان مصر كانت تستعد مع انتهاء الحرب العالمية الثانية للمطالبة بجلاء القوات البريطانية عن اراضيها وكانت المشاركة «الرمزية» فى الحرب مع قرب انتهائها يقوى مركز المفاوض المصرى فى طلب الجلاء بعد ان وقفت مصر الى جانب الحلفاء ولو «رمزيا».

لكن محمود العيسوى - قاتل احمد ماهر باشا - لم يدرك هذه الابعاد السياسية وتصور ان مقتل احمد ماهر سوف يغير من قرار السلطة الشرعية فى الدولة فتسلل الى مبنى البرلمان وانتظر احمد ماهر فى «البهو الفرعونى» الذى يربط بين مجلس الشيوخ ومجلس النواب واطلق عليه رصاصاته الغادرة فارداه قتيلا قبل ان ينظر البرلمان فى قرار الحكومة او يقرر بشانه مايراه .

ولان الاغتيال السياسى لايمكن ان يغير مصائر الامم او يؤدى الى اية نتيجة على الاطلاق فقد شكل النقراشى باشا الحكومة التى خلفت حكومة احمد ماهر وعرض نفس القرار على البرلمان الذى وافق عليه وذهب احمد ماهر ضحية «للرعونة» وقصور الرؤية للمستقبل وقلة الخبرة بشئون السياسة ومصالح الوطن .

وحصلت مصر على جزء من مزايا الدول المنتصرة واحتلت مقعدها فى هيئة الامم المتحدة مما اتاح لها بعد ذلك بسنوات عرض قضية استقلالها على مجلس الامن الدولى فى اول سابقة من نوعها فى تاريخ الهيئة الدولية حيث كانت مصر تقف فى موقف الند امام «الامبراطورية» البريطانية تطالب بجلاء جيوشها عن اراضيها وتصف الاستعمار البريطانى بانه نوع من «القرصنة» الدولية .

ومع ذلك ذهب احمد ماهر ضحية لمبادئه ونظرته البعيدة لمستقبل بلاده ولم يبق منه سوى تمثاله المقام على مدخل كوبرى الجلاء بالقاهرة يذكر الاجيال المتعاقبة بشعاره الذى لخص به العمل الوطنى حيث قال إن الوطنية عدل وكرامة وحمل هذا الشعار زعماء عظام من بعده مثل النقراشى وابراهيم عبد الهادى وتلاميذ اوفياء يتقون الله فى وطنهم ويتقون الوطن فى سرهم وعلنهم.

ولان النبت الطيب لايخرج الا نبتا طيبا فان اثنين من احفاد احمد ماهر يشغلان الان منصب سفير مصر لى اهم عواطم العالم واشنطن وباريس لاحمد ماهر ولكل وطنى شريف حاول التزييف والضلال ان يمحو ذكراه عن الديمقراطية واحترموا سيادة الشعب وكان الحكم فى عهدهم عد لا وكرامة ولم يكن ذلا ومهانة .

هامش :اذا الشعب يوما اراد الحياة فلابد ان يستجيب القدر